

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

وكان بها ابن دأب يَضَعُ الشعر وأحاديثَ السَّـمَرِ وكلاماً ينسُبه إلى العرب فسقط وذهب علمه وخَفِيت روايته وهو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب يكنى أبا الوليد وكان شاعراً وعَلامُهُ بالأخبار أكثر .

وممن كان يجري مجرى ابن دأب الشَّـرْقِيُّ بن القطامي وكان كذاباً قال أبو حاتم : حدثنا الأصمعي قال : حدثنا بعض الرواة قال : قلت للشرقي : ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتاهما قال : لا أدري قلت : فأكذب له قال : كانوا يقولون : رُوِيَـدَكَ حتى تبعث الخلقَ بِـاعْتِه فإذا أنا به يوم الجمعة يحدث به في المقصورة . وممن كان بالمدينة أيضاً عليُّ الملقب بالجمل وَضَعَ كتاباً في النحو لم يكن شيئاً . وأما مكة فكان بها رجل من الموالي يقال له ابن قسطنطين شَدَا شيئاً من النحو ووضع كتاباً لا يُسَاوي شيئاً .

وأما بغداد فمدينة مُلَوِّك وليست بمدينة علم وما فيها من العلم فمنقول إليها ومجلوب للخُلَافَاءِ وأتباعهم قال أبو حاتم : أهل بغداد حشو عسكر الخليفة لم يكن بها مَنْ يُوثق به في كلام العرب ولا من تُرَوِّى روايته فإن ادَّعى أحد منهم شيئاً رأيتُه مغلطاً صاحبَ تطويل وكثرة كلام ومكابرة .

قال أبو الطيب : والأمرُ في زماننا على هذا أضعاف ما عَرَفَ أبو حاتم . قال : فهذه جملة تعرف بها مراتب علمائنا وتقدمهم في الأزمان والأسنان ومنازلهم من العلم والرواية .

انتهى كلام أبي الطيب في كتاب مراتب النحويين ملخصاً . وقال ابن جني في كتاب الخصائص : " باب في صدق الذِّقَلَةِ وثقة الرُّوَاةِ والحمَلَةِ " . هذا موضع من هذا الأمر لا يعرف صحته إلا من تصوَّرَ أحوال السلف وعرف مقامهم من التوقير والجلالة واعتقد في هذا العلم الكريم ما يجب اعتقادُه له وعلم أنه لم يوفِّق لاختراعه وابتداء قواعده وأوضاعه إلا البرُّ عند الله سبحانه العَظِيم بما